

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ  
رِيَاضُ الصَّالِحِينَ  
شِرْحُ مُقْدَمَةِ الْبَابِ ١

الشيخ: خالد بن عثمان الس بت

الحمد لله، والصلوة والسلام على رسول الله، أما بعد:

فهذا باب جديد في هذا الكتاب المبارك وهو باب في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، والأمر بالمعروف يعني الأمر بكل ما عُرف من طاعة الله -عز وجل-، فكل خير تألفه النفوس، ويرتضيه أصحاب الفطر المستقيمة والعقول السليمة فهو من جملة المعروف، ولهذا فإن الله -عز وجل- يحيل بعض الأمور إلى العرف والمعروف، قال تعالى: **{وَاعْشِرُوهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ}** [النساء: ١٩]، ولم يحدد فيه حداً معيناً، وإنما يكون ذلك في كل زمان ومكان بحسبه، ويشمل كل ما عرف من الخير بجميع أنواعه العملية والقلبية، ويدخل في المعروف أيضاً ما يحفظ للناس مروءتهم، ويبقىهم على سُنن قويم، وهدى مستقيم في معاشهم وتعاملاتهم، وإن لم يكن ذلك قد ورد الأمر فيه بخصوصه من قبل الشارع، لكن الشريعة جاءت بكل خير، وبكل ما فيه صلاح ونفع للناس، فقد نأمر الإنسان أحياناً وننصحه بأمور تحفظ له كرامته ومروءته، وإن لم يكن ذلك من قبيل المأمور به شرعاً بخصوصه، فإنك قد تقول للإنسان: هذا الشيء لا يناسبك، وهو ليس محراً، كذلك أيضاً المنكر فهو: اسم لكل ما أنكره الشارع من الأمور المحمرة، والأمور المكرورة، ويدخل في ذلك ما يتعلق بترك المعروف من طاعة الله -عز وجل- من الواجبات، بل يُنصح الإنسان ويدرك حتى في ترك المستحبات، فهذا من النهي عن المنكر، ويدخل فيه ما خالف الأعراف الصحيحة والذوق السليم، فقد يُنهى الإنسان عن بعض الأشياء وهي ليست محمرة ولا مكرورة شرعاً بخصوصها ولكنها غير لائقة وتهبط بمستوى الإنسان لذلك نهي عنها، ومن تكامل الشريعة أن الله -عز وجل- أحل فيها الطيبات وحرم الخبائث، والخبائث هي: كل ما استحبته الفطر السليمة والنفوس السوية، ولذلك فإن بعض الأشياء لم يرد فيها دليل بخصوصه، مثل: أكل الحشرات ليس عندنا دليل يدل بخصوصه على تحريم أكلها، لكن عندنا قول الله تعالى: **{لَوْيَحِلُّ لَهُمُ الطَّيَّبَاتِ وَيَحْرَمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَائِثُ}** [الأعراف: ١٥٧] فلنفهم عن هذا بهذا الاعتبار، فكل ما جاءت به الشريعة من الأوامر فهو خير ومعروف وطيب، وكل ما نهت عنه فهو شر وخبث ومرذول، وحينما يقال: الأمر بالمعروف فهو أعم من الأمر الذي يقتضي الإلزام؛ لأن الأمر بالمعروف يجب معه الامتثال، كأن نقول لشخص: صلّ الفريضة، وقد يكون الأمر بمستحب من المستحبات، كما نقول للإنسان: صم الإثنين والخميس، أو صلّ الوتر، فهذا الأمر للاستحباب، وقد يكون الأمر بالشيء باعتبار ما تدعو إليه الفطر السليمة، وتستحسن العقول السوية مما يحفظ للإنسان كرامته، فيؤمر به، وكذلك النهي عن المنكر إذا كان النهي عن شيء محرم، أو عن شيء مكرور فالأمر يتقاوت أيضاً، فالنهي تارة يكون للإلزام كما يكون في النهي عن المحرمات، وتارة للندب كما إذا نهينا عن شيء من المكرورات؛ ولهذا فإن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر في الجملة من أعظم واجبات الدين، ولكن في العمل المعين بخصوصه يتقاوت، فإن كان المأمور به

واجباً فالامر به واجب، وذلك إذا وجد الشرط وانتفى المانع، وكان الإنسان قادراً على ذلك ولا يترب عليه مفسدة أكبر، وإلا فقد يأمر الإنسان بالمعروف، ويترتب عليه مفاسد كبيرة، ويكون الإنسان بهذا العمل مفسداً لا مصلحاً، وكذلك حينما تأمر بالمستحب يكون الأمر للاستحباب، فمثلاً إذا ترك بعض الناس شيئاً من المستحبات هل يجب أمرهم؟ الجواب: لا، ولكن يستحب، إنسان فعل محظياً هل يجب نهيه؟ الجواب: نعم في هذه الحالة يكون واجباً، مع وجود الشروط وانتفاء المانع، فعلوا مكروهاً لا يجب نهيهم، لكن يستحب ويحسن، وتارة يحرم الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وذلك أن يأمر الإنسان بالمنكر وينهى عن المعروف جهلاً منه، كما يفعل بعض الناس، فيأمر بأشياء من المنكر، وينهى عن أشياء من المعروف، ويظن أنه على الجادة، وهو مخطئ، كذلك أيضاً لو أن الإنسان أمر بمعرف أو نهى عن منكر حقيقة، ولكن هذا الأمر يترب عليه مفسدة كبيرة، فيكون حينها الأمر حراماً، ولهذا قال الله -عز وجل-: **{وَلَا تَسْبُوا الَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ فَيَسْبُوا اللَّهَ عَذْوًا بِغَيْرِ عِلْمٍ كَذَلِكَ زَيَّنَاهُ كُلُّ أُمَّةٍ عَمَلَهُمْ ثُمَّ إِلَى رَبِّهِمْ مَرْجِعُهُمْ فَيَبَيِّنُهُمْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ}** [الأعراف: ١٠٨] سب آلهة المشركين أمر مباح، ولكن عندما يؤدي إلى سب الله يكون حراماً، وكذلك قد تأمر إنساناً بمعرف، أو تنهى عن منكر فيؤدي ذلك إلى مفسدة أكبر، كسب الدين، أو سب الله -عز وجل-، أو يؤدي إلى كبيرة من الكبائر فيحرم الأمر حينها لما يترب على ذلك، فأمر المآلات وما تشير إليه الأمور أمر يجب مراعاته شرعاً، ولذلك يقول النبي -صلى الله عليه وسلم-: ((عن الله من لعن والديه))<sup>(١)</sup>، وهذا يفسره قوله -صلى الله عليه وسلم-: ((من الكبائر شتم الرجل والديه، قالوا: يا رسول الله، وهل يشتم الرجل والديه؟ قال: نعم، يسب أبا الرجل فيسب أباه، ويسب أمه فيسب أمه))<sup>(٢)</sup>، النتيجة متوقعة هو لن يسكت، فيكون بهذا متسبياً في لعن والديه، فلحقة اللعنة، ولذلك يجب على الإنسان أن ينظر فيما يأتي وما يذر من الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وأن يكون مریداً لوجه الله -عز وجل- بذلك، ولا يريد تحقيق الذات كما يقال، أو قهر الناس، أو السيطرة أو فرض نوع من الوصاية عليهم، أو نحو ذلك، لا يريد إلا ما عند الله -عز وجل-؛ لأن الله تعبدنا بهذا، وهذه قضية نحن أحوج ما نكون إليها، والكلمات الصادقة تصل إلى القلوب، والناس يميزون ويعرفون المخلص من غير المخلص، فليست القضية مجرد وظيفة يؤديها الإنسان، أو تبعه يلقىها من كاهله، بل هذا فرضه الله -عز وجل- ورتب على تركه اللعن، قال تعالى: **{إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَى لِسَانِ دَاؤُودَ وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ ذَلِكَ بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ}** [المائدة: ٧٨]، ثم فسره بما بعده، فقال تعالى: **{كَانُوا لَا يَتَنَاهُونَ عَنْ مُنْكَرٍ فَلَعُونَهُ لِبَئْسَ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ}** [المائدة: ٧٩]، **{لَوْلَا يَتَهَاجِمُ الرَّبَّانِيُّونَ وَالْأَحْبَارُ عَنْ قَوْلِهِمُ الْإِثْمُ وَأَكْلُهُمُ السُّحْنُ لَبَئْسَ مَا كَانُوا يَصْنَعُونَ}** [المائدة: ٦٣]، أي: هل نهواهم عن هذه الأمور، والعقوبات الخاصة وال العامة إنما تقع بسبب ترك الأمر، وهو باب واسع، والناس بحاجة إلى تذكر هذا الموضوع دائماً، وليس القضية منوطه بفلان أو فلان، بل هذا

١ - أخرجه أحمد (٢١٢/٢)، رقم: (٨٥٥)، وصححه الألباني في صحيح الجامع، رقم: (٥١١٢).

٢ - أخرجه مسلم، كتاب الإيمان، باب بيان الكبائر وأكبرها (٩٢/١)، برقم (٩٠).

واجب شرعي كما قال النبي -صلى الله عليه وسلم-: ((من رأى منكم منكراً فليغیره بيده))<sup>(٣)</sup>، أي: كل من رأى وهو مستطاع، لكن بشرط العلم، ولا يعني ذلك أن يصير الأمر عالماً حريراً حتى يأمر، بل هناك أمور معروفة لا تحتاج، فأنت تعرف وجوب الصلاة، ورأيت إنساناً لا يصلي ذكره وانصح له، بالكلام الطيب، بالحكمة، نستطيع أن نؤدي ما نريد بقالب مقبول تقبله النفوس وتُقبل عليه، أما الضرب والكلام العنيف الذي يجرح فكما قال الإمام أحمد: "ما أغضبت أحداً قبل منك"، تسب إنساناً وتشتمه من أجل أن يقبل، لن يقبل منك، والداعية إلى الله -عز وجل- ينبغي أن يبحث عن أقرب الطرق، وأنسب الوسائل، وبطريقة محببة إلى النفوس، والتأمل في دعوة الأنبياء كيف يأمرن وينهون، فهذا الخليل إبراهيم -عليه السلام- يتلطف في دعوته لأبيه، فيقول ويكرر قوله: {بِيَا أَبْت} [مريم: ٤٢]، ومؤمن آل فرعون يتلطف بقومه غاية التلطف، فيقول: {بِوَيَا قَوْمٍ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ} [غافر: ٣٢] فنحن بحاجة إلى مثل هذا، لكن أحياناً الإنسان يأتي من باب الغيرة والغضب لله -عز وجل-، ولا يبالي بأحد، ولا تأخذه في الله لومة لائم، ويقول كلاماً ثقيلاً، وهو يريد الخير، ولكنه أخطأ الطريق الصحيح، فهذه أمور يحتاج الإنسان أن يعرضها على نفسه، وأن يفكر فيها جيداً، وسبل إصلاح الناس، وما يحتاجون فيه إلى البدائل، وما يعتور ذلك ويعيق قبولهم من وجود الأسوة السيئة، والقدوة الفاسقة، يأمرهم بأشياء وهو لا يفعلها، فيكون بذلك فتنة لهم، ويكون مستوجباً للوعيد الذي أخبر به النبي -صلى الله عليه وسلم-: ((يؤتى بالرجل يوم القيمة فيلقى في النار فتدلى أقتاب بطنه))<sup>(٤)</sup>، وجود الممارسات الخاطئة في الخارج هي دعوة صامتة لفعلها، ونحن حينما ن فعل أشياء غير جيدة فنحن ندعوا لها في الواقع، ولو كنا لا نتكلم أو ننقوه بها، فنحتاج أولاً أن نفعل الخير، ونترك الشر وليس معنى ذلك أنه لا يأمر ولا ينهى إلا من تحقق فيه الكمال، فالكمال متذر، وإنما سدوا وقاربوا، والتقصير في جانب لا يعفينا من الجانب الآخر، ففرائض الدين متعددة صلاة، وصيام، وأمر بمعرفة ونهي عن منكر، فإذا ترك شيء من طاعة الله -عز وجل- فليس معنى ذلك أن يترك الشيء الآخر، بعض الناس يقول: أنا غير ممتنع إذا أنا لا أمر ولا أنهى، نقول له: تركت واجباً آخر وصار التقصير أعظم، والله -عز وجل- حينما قال لبني إسرائيل: {إِتَّأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبِرِّ وَتَنْهَوْنَ أَنفُسَكُمْ وَإِنَّمَا تَتَّلُونَ الْكِتَابَ أَفَلَا تَعْقِلُونَ} [آل عمران: ٤٤]، عابهم الله على هذا الفعل القبيح، يأمرن بشيء ولا يفعلونه، لكن أقبح منهم من لم يأمر ولا ينهى، هذه قضية مهمة، وأقبح منه نسأل الله العافية- من يأمر بالمنكر وينهى عن المعروف، داعية للشر، ويُثبط عن الخير، ويخذل الناس عن فعله، وهذه أسوأ مرتبة.

نسأل الله -عز وجل- أن يهدي قلوبنا، وأن يصلح أعمالنا، وأن يهدينا جميعاً إلى طاعته ومرضاته وما يقرب إليه، وأن يغفر لنا ولوالدينا ولإخواننا المسلمين، وأن يصلح أحوال المسلمين شباباً وشيباً رجالاً ونساء، وأن يعيننا وإياكم على ذكره وشكره وحسن عبادته، وصلى الله على نبينا محمد، وآله وصحبه.

٣ - أخرجه مسلم، كتاب الإيمان، باب بيان كون النهي عن المنكر من الإيمان، وأن الإيمان يزيد وينقص، وأن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر واجبان (٦٩/١)، رقم: (٤٩).

٤ - أخرجه مسلم، كتاب الزهد والرقائق، باب عقوبة من يأمر بالمعروف ولا يفعله، وينهى عن المنكر ويفعله (٤/٢٢٩٠)، رقم (٢٩٨٩).